



التّرجمة في عصر المعلوماتية: الممارسات والأدوات والكفاءات*

د. نصيرة إدير**



*تاريخ الاستلام: 2017/7/25، تاريخ القبول: 2017/10/28
**أستاذ محاضر (أ)/جامعة مولود معمري / الجزائر

مقدمة البحث

لقد أصبحت التكنولوجيات الحديثة في الإعلام والاتصال في السنوات الأخيرة تتقدم بوتيرة متسارعة جداً، أثرت أيما تأثير في شتى جوانب الحياة، فتغيّرت بذلك الذهنيات وأنماط التفكير، وتغيّرت معها الأهداف وسبل بلوغها، كما تغيّرت أيضاً علاقة الإنسان بالحاسوب تغيّراً جذرياً وفي كل الميادين. وقد أدت هذه الثورة التكنولوجية إلى خلق الثورات الحالية، بما فيها طرق المعلومات السريعة والشبكة الإلكترونية والمكتبات الافتراضية والمعالجة الآلية للغات الطبيعية، ولاسيما ثورة الترجمة مع ظهور الأدوات المعلوماتية والموارد الإلكترونية المعينة في الترجمة.

إن إدخال هذه التقنيات إلى حقل الترجمة أحدث تغيّرات كبرى في الترجمة مسّت طرائق ممارستها ومراحلها المختلفة وأدواتها المعتمدة وحتّى دور المترجم فيها بعد أن أصبح له شريك يلازمه في عمله الترجمي ولا تخلو منه محطة عمله: إنه الحاسوب بمختلف تطبيقاته. لقد أدى التزاوج بين الحاسوب والترجمة إلى ظهور تخصصات وممارسات مستجدة تسعى إلى إتاحة حلول لمترجم اليوم ومساعدته في نقل المعلومات وتناقلها في أسرع وقت ممكن يتماشى وسرعة تدفق المعارف في مجتمعات المعرفة الإلكترونية التي نعيش فيها اليوم. وعليه فلا بدّ لملاح المترجم ومهاراته أن تتغيّر هي الأخرى وتتجه أكثر فأكثر نحو مستوى معين من الأداء والكفاءة في استخدام هذه التقنيات والآليات المستجدة والتي لم يعد بالإمكان الاستغناء عنها في عملية الترجمة. وهو المستوى الذي لا بدّ لطالب الترجمة اليوم أن يستعد له بصفته مترجم الغد من خلال تكوين ينطلق من ممارسة الترجمة كما هي في عصر المعلوماتية ويجعل من كل التغيرات التي طرأت عليها مكوّنه الأساس.

إشكالية البحث

في هذا السياق، ومن أجل البحث في التغيرات والتحوّلات التي شهدتها حقل الترجمة ممارسة وتديسا في عصر المعلوماتية، انبثقت إشكالية دراستنا لتتمحور أساساً حول السؤال الجوهري التالي:

◀ ما هي التحوّلات الكبرى التي طرأت على ممارسة الترجمة، وعلى تديسها على حدّ سواء في عصر المعلوماتية؟

وكي نجيب عن هذه الإشكالية بكل موضوعية، ننتقل في بحثنا من تجربتنا الشخصية مترجمة ومدرساً للترجمة في المستوى الجامعي، لاسيما في وحدات الترجمة المتخصصة والتقنية التي تتطلب ترجمتها بحثاً وثائقياً ومصطلحياً معمّقا، وفي وحدات الترجمة في علاقاتها بالحاسوب والتكنولوجيا الحديثة عامة، ونحاول بدافع اهتمامنا الكبير بالموضوع معالجة المسألة من مختلف النواحي التي مسّها التوجه الجديد نحو استخدام الحاسوب ومختلف تطبيقاته في الترجمة. ولتوخيّ الوضوح والتسلسل في الطرح، والتمكن من التوسّع إلى قضايا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوعنا، نجعل مجموعة الأسئلة التالية تنفرع عن إشكاليتنا الرئيسية:

◀ أيّ ممارسات نتجت عن استخدام الحاسوب في الترجمة؟ ولما ضرورة اللجوء إليها في وقتنا الحاضر؟

◀ ما هي الأدوات والآليات المعلوماتية والإلكترونية المتاحة لمترجم اليوم والمعينة له في الترجمة؟

◀ ما العمل لاستغلال هذه الأدوات والآليات أحسن استغلال

ملخص البحث

يشهد العالم اليوم ثورة معلوماتية لم يسبق لها مثيل. وقد أثرت هذه الثورة أيما تأثير في مجالات الحياة كافة بما فيها الترجمة، إذ أسفر انخراطها أكثر فأكثر في ثقافة المعلوماتية عن مستجدات كثيرة في المحيط الترجمي مسّت على حدّ سواء الممارسات المتداولة فيه، والأدوات المعتمدة في ذلك، وملاح المترجم، وكفاءاته.

تسعى دراستنا هذه إلى استقراء المستجدات التي شهدتها الترجمة في عصر المعلوماتية، وهذا من خلال الكشف عن الممارسات المستحدثة في الميدان، وعرض واقع الأدوات المتاحة لمترجم اليوم، مع التركيز على إمكاناتها وحدودها في مختلف مراحل الفعل الترجمي، ورصد المهارات والكفاءات الجديدة الواجب على المترجم اكتسابها لممارسة مهامه الترجمية على أحسن وجه. ولما كانت الممارسة هدف كل تكوين، فإنها تبحث أيضاً في التدايعات الجديدة لتدريس الترجمة في خضم النظام الحالي وإعداد مترجمين في مستوى التوجهات الكبرى لممارسة الترجمة.

الكلمات الدالة: الترجمة، المعلوماتية، الممارسات المستجدة، الأدوات المتاحة، الكفاءات المطلوبة، ممارسة الترجمة وتديسها.

Translation in the computer age: practices, tools and competencies

Abstract

An extraordinary computer revolution reigns the world today, and influences widely all the domains of life. Translation is not an exception: with being more and more integrated in the computer culture, it has experienced considerable changes both in terms of practices, tools and the translator's skills and competencies.

This paper aims to give an overview of the new developments in the translation field in an age of computer technology. It covers the emerging practices and the tools available for the translator. In this sense, the focus is on the role and limits of these tools during the various stages of the translation process. It searches the skills and competencies that the translator should get to accomplish his task in the best way. Since practice is absolutely the target of any training, this study is also concerned with exploring the new requirements of teaching translation within the current system, and training translators to meet the major requirements of the translation practice today.

Keywords: Translation, Computer Technology, Emerging Practices, Available Tools, Required Competencies, Practice and Teaching of Translation.

رغم صعوبة وضع تاريخ زمني محدد لفكرة الربط بين المعلوماتية ومعالجة اللغات الطبيعية⁽²⁾، كونها لم تحدث دفعة واحدة، بل نتيجة لمحاولات متفرقة، وعلى مراحل زمنية مختلفة، وفي دول متعددة، فإن أغلب الدراسات في المجال ترجعها إلى بداية الخمسينات من القرن الماضي (1954)، في قسم اللسانيات في جامعة جورج تاون الأمريكية، وبالتحديد في حقل الترجمة الآلية. وبالرغم من كون هذه الأخيرة التطبيق الأكثر تعقيداً من بين تطبيقات اللسانيات الحاسوبية، لأنها تحتاج إلى موارد معلومات ومكونات معالجة ليست باليسيرة من تحليل لساني، وتمثيل وتوليد وغيرها، كما يستدعي تصميم أنظمتها مترجمين ولغويين ومهندسين، إلا أنها (الترجمة الآلية) (قديمة قدم الحواسيب⁽³⁾ نفسها) (مصري، 2007: 35). وقد استفادت منذ ظهورها من استثمارات سخية واحتلت مكانة الصدارة في الأبحاث المعلوماتية شهدت على إثرها تطورات تقنية كبيرة أفضت إلى ظهور أنظمة عديدة ومختلفة، كان معظمها في البداية يقوم على اعتبار الترجمة مجرد عملية مقابلة بين الكلمات، أي انتقال من لغة إلى أخرى بتحويل كلمات إلى أخرى والمقابلة بينها، أو بالأحرى الترجمة كلمة بكلمة.

إن هذا التصور للترجمة يجعل من القاموس ثنائي اللغة الأداة الأساس للمقابلة بين النظامين من الكلمات، كما يجعل عملية الترجمة وفقه تصطدم حتماً بجمل صحيحة لغوياً ولكن غامضة معنوياً، لا يمكن أن ينبثق معناها إلا إذا تم تناولها في إطار سياق الكلام الذي يتجلى من خلاله المعنى ويرفع عنها الغموض واللبس وتعدّد المعاني.

والحال أن الترجمة، لاسيما منذ تأسيس النظرية التأويلية أو ما يُعرف بـ(نظرية المعنى) التي وضعها مدرسة باريس للترجمة، غير ذلك تماماً. فالتركيز، في إطار هذه النظرية، يكون على المعنى الذي يستخلص من مجمل المعاني الناتجة عن العلاقة بين الدال والمدلول في مستوى الكلام بمفهومه الخطابى، ومن المكملات المعرفية المتوافرة في سياق النص. ويتمحور مسار الترجمة، وفقها، حول مراحل ثلاث هي: فهم النص وتحرير معناه من ثوبه اللفظي وإعادة التعبير عن المعنى المستخلص في ثوب متجانس وفق عبقرية اللغة المنقول إليها. أي أن (الترجمة ليست عملاً على اللغة، ولا على كلماتها، وإنما عمل على الرسالة، أي المعنى) (هيربولو، 2004: 307). فالمعنى هو ضالة المترجم التي عليه التماسها لا في كلمات وألفاظ وصيغ النص المصدر وتراكيبه القواعدية فحسب، بل وفيما وراء النص أيضاً، أي في مقصد هذا النص وفي مقصد مؤلفه والسياق اللغوي أو الموقف (المقامي) الوارد فيه، وأما اللغة فلا تستخدم في كل هذا إلا كأداة لنقل المعنى، ولا ينبغي بالتالي ترجمتها في حد ذاتها.

وعلى هذا الأساس، تكون هذه المبادئ التي تقوم عليها أنظمة الترجمة الآلية بصفة عامة خاطئة. وإن كنا لا نريد أن نلغي أو نتجاهل العون الكبير الذي تقدمه للإنسان من تخفيض للنفقات وكسب للوقت والجهد، فإن التجربة تبين أن نتائجها ما تزال قاصرة، وبـل ضعيفة جداً في كثير من الحقول المعرفية من حيث الدقة ودرجة الوثوق بها والتعويل عليها. ومرد ذلك عموماً إلى صعوبات ومعوقات الفهم الآلي للغات الطبيعية، فالحاسوب وإن بلغ مستويات عالية من التقدم والازدهار، إلا أنه ما يزال عاجزاً عن التقليد التام للعمليات الذهنية والفكرية التي يقوم بها الإنسان عفويًا عند استخدامه ومعالجته للغات الطبيعية، وما يتخلل ذلك من عمليات التحليل الصرفي والنحوي والدلالي وغيرها التي لا تخلو منها عملية الترجمة.

وجعلها في صالح المترجم لا على حسابه؟ وهل هي حليف له أم خطر عليه؟

◀ أي مهارات وكفاءات يجب على مترجم اليوم اكتسابها ليتمتع الترجمة في عالم محوسب أكثر فأكثر؟

◀ أي إعداد لمترجم الغد، وما التداعيات الجديدة لتكوينه؟

قد يقول قائل إن الاستعانة بالحاسوب في حقل الترجمة ليست بالجديدة، وإن التغيير حدث، وما زال قائماً، ونحن في هذا وذاك نوافق في الرأي، ولا ننكر أن عدد الأبحاث والدراسات التي تناولت الموضوع لا يستهان به لا سيما في الغرب، حتى أن مساحة البحث لا تسمح بذكرها. ولكن المصطلح على هذه الأبحاث والدراسات عامة يدرك أنها ركزت بالدرجة الأولى على أول أشكال الاستعانة بالحاسوب في الترجمة، أي الترجمة الآلية (Machine translation)، فبعضها صب الاهتمام على التعريف بها وبإمكاناتها الكبيرة في توفير الوقت والجهد في عملية الترجمة، وبعضها الآخر اهتم بتاريخها ومراحل تطورها.

وإن تتالت بعد ذلك الدراسات التي عنيت بما كان يحدث في الميدان من ممارسات ومن أدوات ومعينات مثل كتاب أستاذة التعليم في جامعة مونتريال - كندا لوم ماري-كلود (L'HOMME Marie-Claude) بعنوان (Initiation à la traductique)⁽¹⁾ الذي صدرت أول طبعة منه سنة 2007، وتناولت فيه الباحثة مختلف أشكال استخدام الحاسوب في الترجمة، أو كتاب الأستاذة في جامعة تريست - إيطاليا فيديريكا سكاربا (Federica SCARPA) بعنوان (La traduction spécialisée : Une approche professionnelle à l'enseignement de la traduction) الذي صدر سنة 2010، وتناولت فيه الباحثة الأسس النظرية والمنهجية للترجمة المتخصصة عامة وفرص العمل المستجدة للمترجمين المتخصصين، إلا أن الدراسات التي عنيت بالممارسات المستجدة في مهنة الترجمة في عصر الحاسوب والتكنولوجيا، وما نتج عن ذلك من كفاءات لا بد على المترجم من اكتسابها، ومن تطبيقات تعليمية لا بد على مدرس الترجمة توفيرها، أو بالأحرى جعل تدريس الترجمة يتمشى مع ممارستها المهنية، تبقى - في حدود معرفتنا - قليلة إذا ما استثنينا منها بعض المقالات العلمية المنشورة في مجالات مختلفة، وقد اعتمدنا على بعضها في بحثنا هذا، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المقال الموسوم (Traduire à l'ère des NTICs : de la traduction à la traductique)، لمؤلفته نصيرة إدير (2014) التي تناولت في أحد محاور مقالها التجربة التي خاضتها في تدريس الترجمة في عصر تكنولوجيا الإعلام والاتصال في جامعتها.

ونحن بقولنا هذا لا ندعي السبق إلى تناول الموضوع، وإنما نروم إلى الإسهام ولو بالشيء القليل في ميدان البحث في الترجمة وعلاقتها بالحاسوب بصفة عامة سواء أعلق ذلك بممارستها أم بتدريسها، وفي بيان ضرورة توفير تكوين للمترجمين تكويناً (يجعل من الترجمة كما هي اليوم مكونه الأساسي) (إدير، 2014: 10)، أي يأخذ بعين الاعتبار التوجهات الكبرى نحو إدراج الحاسوب والتكنولوجيا في عملية الترجمة، ويستجيب لمتطلبات وحاجات سوق عمل متطلبة أكثر فأكثر بشأن استخدام هذه التقنيات من جهة، وبشأن جودة الترجمة من جهة أخرى. ولذا، سنخوض في الموضوع بمعالجة كل مسألة من مسائله على حدة مع محاولة مراعاة التسلسل في الطرح كما أسلفنا.

● المحور الأول: الترجمة والحاسوب: الممارسات المستجدة

المزاوجة بين الحاسوب والتَّرجمة أوجَّه من خلال أتمتة كلِّ مراحل العملية التَّرجموية تقريباً وكل ما يتعلق بها من استلام الوثائق وتسليمها، ومن بحث وثائقي ومصطلحي، ومراجعة التَّرجمات وتصحيحها، وغير ذلك كثير في إطار تخصص استجد حسب ماتيو قيدر (2010) (Mathieu GUIDERE) منذ سنة 1990 في ميدان التَّرجمة يدعى بـ(التَّرجمة المُحوسَّبة)⁽⁵⁾.

والتَّرجمة المحوسَّبة) هو ترجمتنا المقترحة للتَّسمية للفرنسيَّة الأصل (Traductique) التي صيغت من لفظتي (-traduction) (التَّرجمة) و (informatique) (المعلوماتية) (أوبين، 1995: 212)، وتُرجمت إلى اللغة الإنجليزيَّة بـ (-Computerised translation) ويقصد بهذا التخصص دراسة جميع التَّخصصات التي تسعى إلى تطبيق المعلوماتية في عملية التَّرجمة، أو بالأحرى (دراسة جميع نقاط التقاء التَّرجمة بالمعلوماتية) (أوبين، المرجع نفسه). وحرري بنا الإشارة هنا إلى ضرورة عدم الخلط بين مفهوم (التَّرجمة المُحوسَّبة)، ومفهوم (التَّرجمة الحاسوبية). فأمَّا مفهوم (التَّرجمة الحاسوبية)، فينطوي على مفهوم التَّرجمة الآلية كلياً، أي تلك التي يضطلع فيها الحاسوب بفعل التَّرجمة ولا يتدخل فيها المترجم البشري على الإطلاق. وأمَّا مفهوم (التَّرجمة المحوسَّبة) فينطوي على أسلوب التَّرجمة البشرية بمساعدة الحاسوب، من خلال الاعتماد عليه في بعض أو كلِّ مراحل العملية التَّرجموية وفي كلِّ ما يتعلَّق بها كما أسلفنا الذكر. وهذا واحد من أوجه التفاعل والتعاون المثمر بين الإنسان والحاسوب في التَّرجمة وبل أحدثها، وأغلب الظن أن يكون هو الأسلوب العام والطبيعي للتَّرجمة البشرية في عصر أصبح فيه الاستغناء عن الحاسوب في شتى المجالات والحقول أمراً شبه مستحيل.

ويمكن جمع نقاط التقاء التَّرجمة بالمعلوماتية في كلِّ من المكتبية المحوسَّبة (Text Processing)، والتحرير المحوسب (Computerized Editing)، والمصطلحية المحوسَّبة (Computerized Terminology)، والمعمجية المحوسَّبة (Computerized Lexicology)، والقواميس المحوسَّبة (Computerized Dictionaries)، البحث الوثائقي المحوسب (Computerized Documentary Research)، والاتصال المحوسب (Computerized Communication)، وغيرها⁽⁶⁾.

وبهذا، يجد مترجم اليوم نفسه في إطار تخصص جديد في ميدان التَّرجمة تجاوره تخصصات أخرى جديدة تتطلب منه أن يكون مجهزاً بعلبة من الأدوات التقنية التي من شأنها أن تعينه في عمله، وأن يتسلح بمهارات وكفاءات جديدة تمكنه من استخدامها بفعالية. فما مكونات هذه العلبة؟ وما إمكاناتها وحدودها في مختلف مراحل النشاط التَّرجمي؟

المحور الثاني: التَّرجمة والحاسوب: الأدوات المتاحة

لقد شهدت التَّرجمة منذ ظهور الثورة المعلوماتية تطوراً مذهلاً، إذ أصبحت تدرج أكثر فأكثر ضمن ما سمَّته كاترين أروارت (2003) (Catherine ARROUART) بـ(ثقافة المعلوماتية)، وأخذ المترجم يتخلَّى شيئاً فشيئاً عن قلمه وممحاته، ومسجله الصوتي، وألته الكاتبة، وقواميسه التقليدية، والملف الذي قام بتشكيله في علبه للأحذية (دي بيسي، 1992: 283)، ليلجأ بدل ذلك إلى استخدام المعلوماتية بكل ما تتيحه من أدوات وآليات وبرمجيات تتطور باستمرار كما وكيفاً، وتشكل اليوم علبه أدواته التي لم يعد بإمكانه الاستغناء عنها وهو يؤدي عمله التَّرجمي.

ولسنا نعني هنا التَّرجمة الآلية البحتة التي يضطلع

ولهذا، فلا يمكن في أيِّ حال من الأحوال للمترجم البشري توفير جهد التدخل في التَّرجمة الآلية، اللهم إلا إذا كان المبتغى منها هو استخلاص الفكرة العامة التي يتناولها النص لا ترجمته بالمعنى الدقيق للكلمة. ويكون تدخله هذا إما في النص المراد ترجمته من خلال التحرير المسبق (Pre-editing)، وإما في النص المترجم من خلال التحرير اللاحق (Post-editing). فيقوم، في التحرير المسبق، بمراجعة النص المراد ترجمته في اللغة المنقول منها وتبسيط جملة ورفع الغموض عنها، وإجراء كل التعديلات الضرورية عليه بما يتوافق وينسجم مع القاموس والقواعد المبرمجة في نظام التَّرجمة الآلية المعتمد. ويقوم، في التحرير اللاحق، بمراجعة النص المترجم في اللغة المنقول إليها وتصحيحه وإجراء كل التعديلات الضرورية عليه ليصبح مقروءاً ومقبولاً وقابل للنشر.

وعند تدخل المترجم البشري بإحدى هاتين الطريقتين في التَّرجمة الآلية، تكون التَّرجمة (ترجمة آية بمساعدة الإنسان) (بالإنجليزية human-aided machine translation)، وهي أحد أشكال تفاعل الإنسان والحاسوب. ومن نافلة القول إن المترجم قد يضيِّع الكثير من وقته وهو يعدل ويبسط النص المراد ترجمته ليكون مفهوماً من قبيل الحاسوب، أو وهو يصحح وينقح النص المترجم آلياً، وهذا بالنظر إلى التواتر الكبير للأخطاء المرتكبة في مختلف المستويات. زد على ذلك خطر تأثره بالخيارات التَّرجموية التي يقوم بها نظام التَّرجمة الآلية، فيقع هو الآخر في الخطأ، أو عدم انتباهه إلى بعض هذه الأخطاء أمام العدد الهائل من الأخطاء الواجب تصحيحها، فتتحول بذلك النعمة إلى نقمة، ويجد المترجم نفسه يضيِّع الكثير من وقته بدل ربحه، ويكون من الأفضل له الإضطلاع بالتَّرجمة بنفسه دون أن يلغي نهائياً استعمال الحاسوب والإفادة من كل البرمجيات والتطبيقات المتاحة له في عصر التقانة الذي نعيش فيه اليوم المعينة له باستمرار في عمله التَّرجمي.

هكذا إذن، وسعيًا إلى تحقيق الفعالية في التَّرجمة وبوتيرة تتناسب وروح العصر التي يميزها الانفجار المعرفي وضرورة نقله بين اللغات المختلفة بسرعة، لجأ المترجم إلى أتمتة⁽⁴⁾ بعض مراحل عمله في إطار تفاعل آخر ومستجد مع الحاسوب من خلال القيام بـ(التَّرجمة البشرية بمساعدة الآلة) (بالإنجليزية Machine-aided human translation)، وهو نوع يضطلع فيه المترجم البشري بفعل التَّرجمة ويكون الفاعل الأساس فيه مع الإفادة من الحاسوب وتطبيقاته المختلفة في بعض مراحل عمله أو كلها، أي أنه يسخر الحاسوب متفاعلاً معه دون الاعتماد عليه كلية.

ولعلَّ أهم أشكال الإفادة من الحاسوب في هذا النوع من التَّرجمة يكمن في الذاكرة التَّرجموية، وهي مخزون من النصوص المتوازية (الأصل وترجمته) تعطي للمترجم اقتراحات للتَّرجمة استناداً إلى النصوص التي ترجمها آنفاً وسجلها فيها، إذ تتعرَّف الجمل والمقاطع والتعبيرات والمصطلحية المتشابهة أو المتقاربة فتبرزها وتشير إليها. وتكمن المزية الكبرى مع هذه الذاكرة في (تقديم سوية منتظمة لتَّرجمة الاصطلاحات والعبارات المعقدة لتجاوز متاعب ترجمة نفس العبارة أو المصطلح بطريقة مختلفة من مترجم لآخر أو لدى ذات المترجم من وقت لآخر، أي توحيد وثبات ترجمة المصطلحات) (حمدون، دت: 12)، والمعنى أن المترجم لا يترجم أبداً النص نفسه مرتين، ولا المصطلح نفسه ترجمتين مختلفتين.

وما هذا إلا مثال عن تشكيلة كبيرة وواسعة من الأدوات والتطبيقات المتاحة لمترجم اليوم في عالم بلغ فيه التوجه نحو

(Encarta) ووب بديا (Webopedia). وللبحث عن المصطلحات المناسبة والمتداولة في ميدان تخصص النص المراد ترجمته، فيجد خدمته قواعد البيانات المصطلحية مثل يورودتوم (-EuroDic Autom) ولكسيس (Lexis) وتيم (TEAM) وتيرميوم (Termium) و(باسم) و(معربي) و(قَمَم) في الوطن العربي، والقواميس والمعاجم الإلكترونية الأحادية أو المتعددة اللغات مثل لكسيكول (Lexicool) ووان لوك (OneLook) وقاموس المعاني. وللبحث عن أمثلة عن سياقات استعمال المصطلحات، فيجد في خدمته المدونات مثل لملمدونة العربية مفتوحة المصدر (-Open Source Arabic Corpo ra) والمدونة اللغوية العربية (kacstac.org.sa) وبرتيش ناشنول كوربوس (British National Corpus)، وأرشيف النصوص المترجمة مثل موقع منظمة الأمم المتحدة، وأرشيف المجلات والصحف مثل لوموند (Le Monde)، ولبيراسيون (Liberation) ومدونة وكالات الأنباء العربية. ولإعداد وإدارة قاعدة بيانات مصطلحية خاصة به، فهو يجد في خدمته برامج مثل ملتي تيرم (MultiTerm) ولينغو (Lingo) وتيرمكس (Termex) ولوجي تيرم (LogiTerm).

وأما في مرحلة صياغة الترجمة ذاتها، فالمترجم يتوفر على مختلف أنظمة الترجمة الآلية مثل ريفيرسو (Reverso) وسيستران (Systran) و(المترجم العربي) و(الناقل العربي) و(الوافي الذهبي) ((الكافي)، والترجمة بمساعدة الحاسوب مثل وب بيسد (Web-based)، وذاكرات الترجمة التي تعد أهم أداة يتوفر عليها مترجم اليوم، ومن أبرزها ترادوس (Trados) ومالتيترانس (Multitrans) وديجا فو (Déjà Vu) ووردفاست (Wordfast) وأب تك (AppTech).

ويندرج في المجموعة الثانية، كل الأدوات والأنظمة والبرمجيات التي لا تتصل بصفة مباشرة بعملية الترجمة، وإنما بمرحلة ما قبل الترجمة أو ما بعدها، أي في مرحلة استلام المادة المطلوب ترجمتها (النص المصدر) وتسليم الترجمة (النص الهدف). ففي عصر التقانة و(بظهور الوسائط المتعددة، لم تعد المادة المراد ترجمتها [...] شبيهة بمقطع خطي من الجمل المصنوفة على الورق، بل قد تكون [...] وثيقة إلكترونية، أو تسجيلاً سمعياً أو مرئياً، أو أي تركيب من هذه الأشكال المختلفة) (دوريو، 2010: 90)، فلا يتعين بذلك على المترجم التنقل من مكان إلى آخر أو الحضور شخصياً لاستلام هذه المادة أو تسليم ترجمتها، وإنما يستلمها أو يسلمها عبر الناسوخ (الفاكس)، أو في طبيعتها الرقمية عبر الإنترنت (في البريد الإلكتروني أو عن طريق تقاسمها عبر إحدى منطديات المحادثة)، وقد يشهد المستقبل طلب طباعتها مباشرة عند المرسل إليه.

ولكون أدوات المترجم الجديدة لا بد أن تعكس الترجمة كمنشأ لغوي وثقافي من جهة، وكنشاط ربحي من جهة أخرى، فإن برامج أخرى تخصص هذا الجانب الأخير للترجمة تُصاف إلى التشكيلة المذكورة من الأدوات، وتستعمل في المحاسبة والفوترة مثل أكسس (Access) وفايل مايكر (FileMaker)، وإكسل (Excel).

تلزم مجموعة من الأدوات المعلوماتية والموارد الإلكترونية الموضوعية في خدمة المترجم اليوم، وهي متوفرة كلها في محطة عمله الآلية التي لم يعد فيها للقلم مكان، وإنحصرت دائرة استعمال الورق في علاقته بالطابعة المرتبطة بالحاسوب. وترتبط هذه الأدوات فيما بينها بطريقة تتيح للمترجم التنقل بينها بطريقة شبه فورية تجعله يتوفر على كل شيء (أو يكاد) على بعد مجرد نقرة على لوحة المفاتيح. وسيشهد المستقبل، مع التطور التقني المتزايد والمتسارع، ظهور أدوات وتقنيات أخرى لا محالة في المحطة الترجمية، مما يعني أن المترجم سيصبح على مر السنين مُدجج

فيها الحاسوب بمهمة الترجمة بدل المترجم البشري فقط، فهذه كانت أول أشكال التقاء الترجمة بالحاسوب، وما هي إلا أداة من بين أخريات، وإنما نعني تشكيلة البرمجيات والأدوات المعلوماتية والإلكترونية التي يعتمد عليها المترجم البشري وهو يظلم بفعل الترجمة، أو ما يُعرف أيضاً بالمعينات الحاسوبية في الترجمة. ويندرج ضمنها كل من الحاسوب ومختلف ملحقاته، وقارئات النصوص الضوئية، ومنسقات النصوص وملحقاتها، وبرامج معالجة النصوص، والإملاء الآلي للنصوص، ومطابقة النصوص، وكذا برامج تصريف الأفعال، والتدقيق الإملائي والنحوي، ومعاينة المصطلحات واسترجاعها لإعداد القوائم المصطلحية والقواميس الخاصة، وبنوك المصطلحات الآلية، والمكانز، والموسوعات الإلكترونية، والمعاجم والقواميس اللغوية المحوسبة، سواء أكانت أحادية اللغة أم ثنائية اللغة أم متعددة اللغات، وذاكرات الترجمة، وبرامج الترجمة الآلية، والترجمة التحويلية، وأنظمة تخزين و/أو تقاسم البيانات، والإنترنت، والبريد الإلكتروني وغيرها كثير. فالأمر يتعلق بحاسوب مجهز بمختلف الملحقات والبرمجيات التي من شأنها أن تفيد المترجم وتعينه في مختلف مراحل الترجمة، أو بالأحرى آلة معينة في الترجمة يديرها المترجم وتشكل محطة عمله الرئيسية.

لقد غير ظهور مفهوم (محطة عمل المترجم) (بالإنجليزية Translator work station) وتطور مكوناتها المتزايد والمتسارع البيئة الترجمة تغييراً جذرياً مس كل الجوانب ذات الصلة بممارسة الترجمة بصفة عامة، سواء أعلق الأمر بالعملية الترجمة نفسها، أم بعملية الاتصال التي تشمل استلام النص المطلوب ترجمته وتسليم النص المترجم، فهذه العملية الأخيرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفعل الترجمة ولا تنفك عنه أبداً. ووفق هاتين العمليتين المتلازمتين والمتكاملتين في الترجمة، تُصنف ألكسندرا فولانشي (Alexandra Volanschi) (2007) الأدوات المعينة في الترجمة في مجموعتين اثنتين، وهما:

- أدوات معينة في عملية الترجمة ذاتها؛

- أدوات عامة في خدمة المترجم.

يندرج في المجموعة الأولى كل أداة، أو برنامج، أو منتج من شأنه خدمة المترجم ومساعدته في مختلف مراحل العملية الترجمة بدءاً من إنتاج الوثيقة وصولاً إلى إنتاج وصياغة الترجمة ذاتها، ومروراً بالبحث الوثائقي والمصطلحي.

فأما في مرحلة إنتاج الوثيقة، والتي تشمل فتح صفحة جديدة للنص الهدف، أو إجراء تعديلات فقط على صفحة النص المصدر في حال كتابة الترجمة عليها مباشرة، فإن المترجم يجد في خدمته مختلف برامج معالجة النصوص من وورد (MS Word) وورد بيرفكت (Wordperfect) وأوبن أوفيس (OpenOffice)، وبرامج التمثيل البياني مثل باور بوينت (MS PowerPoint)، وبرامج النشر عبر الإنترنت مثل فرونت بايج (MS FrontPage) ودريم ويفر (Dreamweaver)، أو النشر بمساعدة الحاسوب مثل كوارك اكسبرس (QuarkXpress) وبايج مايكر (PageMaker) وإين ديزاين (-InDe sign) وفرايم مايكر (FrameMaker)، وبرامج التوثيق مثل باسولو (Passolo) وكاتالفست (Catalvst).

وأما في مرحلة البحث الوثائقي والمصطلحي، وللبحث عن كل مرجع يتناول موضوع النص المراد ترجمته، فإن المترجم يجد في خدمته محررات البحث المختلفة مثل جوجل (Google) وألتافستا (Altavista)، والموسوعات الإلكترونية مثل انكارتا

فإن روح العصر وضرورة التوفيق بين السرعة والفعالية، يُزمنهم باستكمال معارفهم القاعدية في المعلوماتية، وتعلم استراتيجيات لمقاربة هذه الأدوات المعينة لهم بطريقة تسمح لهم باستخدامها بفعالية وفق مختلف مراحل الترجمة.

ويتطلب هذا بالضرورة توفير بيئة عمل مجهزة بهذه الأدوات بدءاً من وسائل الاتصال العصرية مع الزبائن والمزلاء في جميع أنحاء العالم من هاتف ثابت ومحمول وجهاز ناسوخ (الفاكس) وبريد إلكتروني مهني يمكنه من إرسال الملفات الكبيرة واستقبالها، وصولاً إلى جهاز حاسوب سريع وقوي مجهز بمختلف البرامج المعينة في الترجمة والمطلوبة اليوم في سوقها التي تزداد توسعاً واتساعاً يوماً بعد آخر. وهي أدوات أساسية وضرورية جداً لممارسة أبسط أنواع الترجمة العامة، فما بالنا بالترجمة المتخصصة في المجالات التقنية والعلمية المختلفة وكذا النشاطات التي استجّدت في حقل الترجمة تحت تسمية (التوطين)⁽⁷⁾ لترجمة المواقع الإلكترونية، والبرامج السّميّة المرئية من خلال العنونة التحتية أو الدّبلجة، ومختلف البرامج والبرمجيات والمعدات ذات الدليل اللغوي.

فالسّعة والفعالية والجودة التي تشكّل الشّروط الجديدة لسوق الترجمة في عصر التكنولوجيات تتنافى اليوم تماماً مع التعامل مع مترجم، مهما كان مستوى ترجماته جيداً ومهما كانت أسعاره منخفضة، يستغرق تسليمه ملفاً مضغوطاً مثلاً للترجمة أو غيره من أنساق الملفات المختلفة نصف يوم أو كلاً، لأنّه لا يستطيع عرضه أو تحريره على شاشة حاسوبه بسبب عدم توفره على البرامج الضرورية لذلك، أو عدم معرفته بكيفية استخدامها. ولذا، فإنّ المطلوب من مترجم اليوم ليس حشد الأدوات المعلوماتية والبرامج الإلكترونية في بيئة عمله فحسب، وإنما امتلاك أو اكتساب مهارات تمكنه من استخدامها والإفادة من مزاياها ومعرفة حدودها كمعينات فقط في الترجمة يستحيل عليها تحويل مترجم سيء إلى مترجم كفء يتمكن من تسييرها وإدارتها بفعالية. ولا يكون له ذلك إلا من خلال تحديد طرق تنظيمية جديدة تتأقلم مع محطة عمله بأدواتها التقنية الجديدة في إطار التأهيل التنظيمي.

3. التّأهيل التّنظيمي

ونعني به المهارات الواجب على المترجم اكتسابها واستغلالها في تنظيم وإدارة مختلف الجوانب العملية المتعلقة بعمله التّرجمي في إطار البيئة الجديدة التي يمارسه فيها، والتي تزخر، كما سبق الذكر، بأدوات تقنية جديدة يفترض بها أن تعين المترجم في عمله وتيسره له، ولكن تفرض عليه في الوقت نفسه تطوير مهاراته وكفاءاته، وكذا طريقة أداء عمله لإنتاج ترجماته بسرعة وفعالية، أي إنجاز ترجمات سريعة وذات جودة عالية.

قد يبدو للوهلة الأولى أنّ عاملي السرعة والجودة متناقضان، فيتساءل متسائل كيف لترجمة ما أن تكون ذات جودة عالية وهي تُنجز في فترة زمنية أقصر ممّا كانت عليه في الطريقة التقليدية للترجمة؟ والإجابة هي أنّ في حوزة مترجم اليوم من الأدوات والآليات المعلوماتية والإلكترونية ما من شأنه توفير المعلومات الضرورية في الترجمة، واختصار زمن الحصول عليها وزمن إنجاز الترجمة، دون أن ينتقص ذلك من جودة المنتج، على أن يستكمل هذا بتأهيل تنظيمي يكتسب من خلاله مهارات إدارة هذه المعلومات الضرورية في الترجمة، وإدارة الوقت، وكذا إدارة الجودة. وهي عوامل ثلاثة أملاها عليه إقتصاد المعلومة.

◆ إدارة المعلومة الضرورية في الترجمة

يعدّ البحث الوثائقي والمصطلحي إحدى أهمّ مراحل العمل

خدمات مستعد لإدارة محطة مؤتمتة بالكامل، وهو دور يتطلب منه اكتساب كفاءات ومهارات جديدة لا غنى له عنها.

المحور الثالث: التّرجمة والحاسوب: الكفاءات المطلوبة

إنّ كون المترجم عنصراً بورياً في عملية الترجمة لا ضلّاعه بمهمة الترجمة نفسها يجعل مناقشة مبادئ هذه الأخيرة ومناهجها بمنأى عنه قاصرة وناقصة، ولذلك نتناول فيما يلي الكفاءات المطلوبة منه لا ضلّاعه بالترجمة على أحسن وجه.

1. التّأهيل اللّغوي

لا يختلف اثنان في أنّ إنتاج ترجمة مفهومة ومقروءة تتطلب أن تتوفر في منتجها بعض المتطلبات الأساسية، وهي كما تحصى عادة في محيط من يتصدون للترجمة أن يكون ملماً إماماً شاملاً باللغتين المنقول منها والمنقول إليها وضليعاً فيهما، وأن يكون على إطلاع شامل بمادة الموضوع الذي يترجمه، أي أن تتواجد ألفة بينه وبين ما يترجمه بقدر الإمكان. وترتبط هذه الشّروط الثلاثة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، وبل تقوم بينها علاقة استلزام مشكّلة وحدة مترابطة ليس للمترجم بديل عنها منذ ظهور الترجمة وإلى غاية يومنا هذا.

وقد كان المترجم يقوم بمهامه على أكمل وجه، معتمداً كلياً على صقل مهاراته اللغوية في اللغتين المنقول منها والمنقول إليها. وهي المهارات التي يجب أن تتعدى فهم الشّكل والأسلوب لتبلغ مبلغ فهم المضامين والأفكار، أي الجوانب الدقيقة والحساسة للمعنى، والقيم الانفعالية والسلوكية الهامة للكلمات، والخصائص الأسلوبية التي تحدّد نكهة وإحساس الرّسالة. ومن نافذة القول إن المترجم كان يستشير في ذلك القواميس المختلفة سواء أكانت أجادية اللغة أم ثنائية اللغة كلما تعذّر عليه استيعاب المعنى في اللغة المنقول منها أو إحداها في اللغة المنقول إليها، فالقواميس كانت عوناً الأساس، وتأهيله اللغوي سلاحه الوحيد للتصدي لترجمة مختلف النصوص في شتى مجالات المعرفة والفنون، وباعتماد أبسط الوسائل من ورق، وقلم رصاص، وممحاة، وغيرها. وبذلك تكون الترجمة بشرية باتّمس معنى الكلمة دون الاعتماد على أي آلة كانت.

ولكن مع النّزعة العالمية نحو الأتمتة التي ظهرت مع التطور العلمي والتقني المتسارع الذي شهده عصرنا، ويجسده جيداً اختراع الحاسوب ومختلف التطبيقات والبرمجيات التي يتيحها والمكوّنة لعلبة أدوات مترجم اليوم، أصبح التّأهيل اللّغوي، وإن كان ما يزال شرطاً لازماً لكل مترجم، غير كاف لوحده، بل لا بد من استكمال كفاءات ومهارات جديدة تسمح له بممارسة عمله التّرجمي على أحسن وجه في البيئة التّرجمية المستجدة وفي محطة عمله المحوسبة. ويمكن جمع هذه المهارات التكميلية في تأهيلين اثنين أحدهما تقني والآخر تنظيمي.

2. التّأهيل التقني

وهو تأهيل يسمح للمترجم بمعرفة الأدوات المستجدة في البيئة التّرجمية، وبالتعامل معها ومعرفة كيفية استخدامها في عمله اليومي ليتمكن من الولوج إلى سوق الترجمة العالمية التي يميّزها التقدم التكنولوجي الكبير والمنافسة الحادة والتسابق المحموم.

ورغم أنّ السّواد الأعظم من المترجمين تلقوا تكويناً أدبياً يخلو (أو يكاد يخلو) من أيّ تكوين أو برنامج يمكنهم من الإلمام الشامل بالأدوات المعلوماتية والتقنيات العلمية المتاحة لهم اليوم،

والأ كانت غير مجدية. فروح هذا العصر لا تتطلب ترجمة المعلومات فحسب، وإنما تتطلب ترجمة الكثير منها وفي وقت وجيز، أي بسرعة فائقة تتماشى مع وتيرة إنتاجها في لغاتها الأصل، مما يفرض على مترجم اليوم ضرورة اكتساب مهارة إدارة الوقت.

وإدارة الوقت مفهوم يعتمد على قاعدة ترتيب الأولويات وتحديد الوقت اللازم والمناسب لكل منها وتحديد أحسن وقت للإنتاجية. أي استغلال الوقت بذكاء بهدف العمل لأوقات أقل وتحقيق إنتاجية أكبر لتلبية للطلب المتزايد على الترجمة. وهي مهارة قابلة للتعليم، تتأتى بالتنظيم والممارسة والتّمرن. وما أحوج المترجم إليها اليوم في مختلف مراحل عمله بدءاً من استلام النص إلى غاية تسليمه مروراً بترجمته. فهو وإن أصبح يتوفّر على أدوات وآليات مختلفة وكثيرة من شأنها أن تعينه في عمله وتيسره له وتكسبه الكثير من الوقت في الاتصال والبحث والإنتاج، إلا أن الأمر قد يتحوّل إلى ضده إذا لم يتمكن المترجم من إدارة وقت التعامل معها بكفاءة. فموارد المعلومات، كما أسلفنا الذكر، غزيرة جداً ومحرّكات البحث كثيرة أيضاً بالقدر الذي قد يجعله يهدر الكثير من وقته وهو يتصفح هذا الموقع أو ذلك، أو يقرأ ذلك الكم الهائل من المعلومات عن الموضوع المراد ترجمته، أو يتواصل مع ذلك المختص أو الخبير في الميدان، وغيرها من الأنشطة المرتبطة بطريقة أو بأخرى بعملية البحث أو الترجمة. ويكون في هذه الحال السبيل الوحيد أمام المترجم التّمرن على السرعة وإختصار الأزمنة المخصّصة لكل مرحلة من هذه المراحل.

ففي مرحلة البحث الوثائقي على سبيل المثال لا الحصر، يمكن للمترجم أن يحدّد زمنياً قياسياً للبحث وفق حجم الوثائق المراد ترجمتها ودرجة تخصصها، مع الإقتصار على البحث في الموارد المتخصصة في الميدان الذي تنتمي إليه هذه الوثائق. وبالطريقة نفسها يمكنه أن يحدّد ويضبط مسبقاً الوقت اللازم لترجمة أي وثيقة كانت، كما يحدّد ويضبط أيضاً وقت تسليم المنتج (الترجمة)، وينتهج استراتيجية محكمة لاحترام بداية هذه المواعيد ونهايتها مع الاستعانة بقدر الإمكان بكل أداة أو وسيلة كفيلة بمساعدته في ذلك.

والجدير بالذكر هنا هو ضرورة أن لا يفهم من إدارة الوقت بهذه الطريقة التسريع بإنتاج الترجمة على حساب جودتها، أي تفضيل سرعة الإنجاز على حساب جودة المنتج، وإنما إدارة الوقت الحقيقية في الترجمة تعني إنتاج ترجمة سريعة وذات جودة عالية، أي أن يكون الاهتمام منصّباً في الوقت ذاته على الكم (الإنتاجية)، والكيف (جودة الترجمة المنتجة).

◆ إدارة الجودة

لقد أصبحت التّحديات التي تشهدها أعمال الترجمة اليوم في عالم العولمة والأتمتة تقترن أكثر فأكثر بالجوانب النوعية، أي بالجودة. فالجودة سلاح تنافسي رئيسي في هذا الاتجاه، لا بدّ من تحسينها وتطويرها باستمرار. ولا يخفى على أي عارف بحقل الترجمة أن الجودة كانت شرطاً لازماً للترجمة منذ بداياتها، ولكنها كانت تقتصر على المنتج فقط، أي الترجمة ذاتها بغض النظر عما يسبقها أو يلحق بها. والحال أن ثورة المعلومات والاتصالات أفضت إلى فرص أوفر لتحسين تقديم خدمات الترجمة بمختلف مراحلها المتمثلة في الاتصال والبحث والإنتاج. وذلك عن طريق تبسيط وتحديث الممارسات الإدارية وإجراءات العمل الخاصة بها كالتزود بالموارد المادية الضرورية لذلك، وحسن استثمارها لتحقيق الكفاءة، مما يفرض على المترجم اكتساب مهارة إدارة الجودة.

التّرجمي التي لا تنفصل عنه البتة، وتسمح للمترجم بالتغلّب على الصعوبات والعقبات التي تعترض سبيله سواءً أتعلق الأمر بالمعلومات ذات الصلة بمادة الموضوع المراد ترجمته، أم بالمصطلحات الواجب استعمالها للتعبير عنها. فمن نافذة القول إذن إن هذا النوع من البحث أثناء عملية الترجمة يهدف إلى بناء أو استكمال المعرفة الموسوعية والمصطلحية المتعلقة بموضوع النص المراد ترجمته، وذلك من خلال قراءة وثائق ونصوص (من مقالات، ومجلات، وكتب وبحوث وغيرها) من شأنها الإفادة بأي معلومة كانت حول الموضوع وحول المصطلحات والتعابير المتداولة للدلالة على المفاهيم الواردة فيه، وذلك في اللغتين المنقول منها والمنقول إليها.

والحال أن ظهور التكنولوجيات الجديدة في الإعلام والاتصال، لاسيّما الإنترنت وطرق المعلومات السّيارة، جعل موارد المعلومات كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى. وقد أدّى تنوعها وتشتتها إلى وفرة، بل فيض المعلومات وتضخمها، وهو أمر يجعل المترجم يحدّد ويختار ويتّبع وهو يبحث عن الأنسب منها للترجمة التي يتصدى لها. وفي هذا السياق، يصبح تأهيل المترجم في إدارة المعلومة الضرورية في الترجمة شرطاً لازماً ليكتسب مهارات إعادة النظر في طرائق البحث الوثائقي وتقنياته بالشكل الذي يمكنه من التوفيق بين الكم الهائل من المعلومات المتوفرة وبين نوعيتها. ولهذا الغرض، يتوجّب عليه التوجه نحو دروب المعلومة الجاري البحث عنها الأكثر فعالية، أي يتّبع منهجية إدارة كمية ونوعية للمعلومة الضرورية في الترجمة.

ونعني بالإدارة الكمية للمعلومات أن يعي المترجم أهمية، بل ضرورة حشد كم كبير من الوثائق والنصوص في موضوع النص المراد ترجمته، ولاسيّما حينما ينتمي هذا الأخير إلى ميدان تخصص دقيق. فكثرة هذه الوثائق والنصوص يعطي المترجم نظرة شاملة عن الموضوع ويوسع كمية المعلومات المتعلقة به إلى أقصى حد. ولكن ما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن المترجم معرّض أمام هذا الزخم من الوثائق لخطر التيهان وتضييع الكثير من الوقت في قراءات غير مجدية بدل ربحه. وعلى هذا الأساس، يجب على المترجم أن يكتسب إلى جانب مهارة الإدارة الكمية للمعلومات، مهارة إدارتها النوعية، أي أن يبحث ويجد بسرعة العناصر الحساسة للترجمة. وهو ما يستدعي منه تلقن طرائق وتقنيات قراءة الوثائق والنصوص الكثيرة والطويلة قراءة سريعة جداً، وبل خاطفة يعمد بعدها إلى إقصاء تلك الأقل إفادة منها لإنجاز الترجمة.

ولأن هذا الانفجار ليس حصراً على المعلومات فقط، وإنما يشمل المصطلحات أيضاً كونها تتعدّد وتتنوّع وتختلف من نص إلى آخر، فيجد المترجم نفسه حائراً بين هذا وذاك، فقد بات من الضروري عليه أن يوجّه خياراته المصطلحية بسرعة وفعالية من خلال تكييف وأقلمة بحثه المصطلحي مع الأدوات العصرية المتاحة له. وبإمكانه في هذا المضمار أن يتدرّب على إعداد وأتمتة جذاذات مصطلحية شخصية ومتعددة اللغات يعود إليها عند الحاجة، أي إعداد وإدارة قاعدة بيانات مصطلحية خاصة به في إطار ذاكرة ترجمية تجنبه إعادة ترجمة المصطلحات والتعابير التي تمّت ترجمتها في أوقات سابقة.

◆ إدارة الوقت

مع ظهور العولمة والإنترنت، أصبحت المعلومات الواجب نقلها وتناقلها بين اللغات المختلفة تتنامى بسرعة فائقة جداً، تجعل الترجمة التقليدية بوسائلها البسيطة وتيرتها المتباطئة غير قادرة على استنفادها، وتفرض عليها النشاط والحركة الدووية،

المعرفي والتَّقني الحاصل اليوم في حقلها بلا انعكاسات على طرائق تدريسها وإعداد المترجمين، إذ يُطرح التساؤل في محيط المهتمين بها بشأن ما ستؤول إليه تعليميتها في ظل ثورة المعلومات والاتصالات، التي تستلزم منهم متابعة متطلباتها عن كثب من تطوير للدراسات والبحوث التَّرجموية، ورصد ما لها من تأثير في ممارسة التَّرجمة، وانعكاس على تدريسها، وتغيير منهجيات البحث في قضاياها، والارتقاء بأساليب دراستها، وتعديل وتطوير المناهج الدراسية في المعاهد المتخصّصة كي تواكب تطوّر سوق التَّرجمة وتستجيب لمتطلباتها كما ونوعاً، مع بحث السبل والوسائل الكفيلة بتحقيق التّقدم المنشود في مسيرة الرّكب الحضاري والتَّقني.

وما تزال ابتكارات وتطوّرات هذا الرّكب تتوالى بلا انقطاع، ممّا يجعل طالب التَّرجمة اليوم، أو بالأحرى مترجم الغد ينشأ في «كنف» عالم محوَّسب» يجد نفسه فيه جزءاً من نسيج كوني. [...] وقبل أن ينطلق هذا المترجم في ممارسة مهنته سيكون متعوداً على أن تأتيه المعارف والعلوم بين يديه حيثما كان، لأنّه مواطنٌ في عالم (مشبوك) (العميد، 2006: 3)، حرّي به أن يكون على أتم الاستعداد للعيش والعمل في كنفه بدءاً من مرحلة تعلمه للتَّرجمة. وقد بات لزاماً، في هذا المضمار، إعادة النظر في أنظمة تعلّم التَّرجمة وتعليمها على نحو تتحرّر فيه من القوالب التقليديّة في المناهج، وتطويرها وتحسينها وحوسبتها لتجاري معطيات العصر الرقمي ومتطلباته، وعليّ هذا الأساس، فلا بدّ أن تجتمع في عملية إعداد مترجمي الغد عوامل عديدة تصل بينها علاقة وثيقة جداً يمكن جمعها في التداعيات البيداغوجية والماديّة.

4. التداعيات التّعليمية

وهي عوامل تُعنى بها هيئة التدريس بكافة أعضائها من أساتذة ومكوّنين ومسؤولين في المعاهد المتخصّصة في التَّرجمة، وتتمثّل مهامها الأساسيّة في الارتقاء بالعملية التّعليمية وتخليصها من قوالبها التقليديّة، وتحسين الأداء الأكاديمي فيها بوضع وضبط مقرّرات ومناهج دراسية توافّق البيئة التَّرجموية المستجدة، وتستجيب لإحتياجات سوق التَّرجمة اليوم، وذلك من خلال:

◆ برمجة مادة المعلوماتية في المنهاج الدراسي لطلبة التَّرجمة أو دورات تدريبيّة فيها قصد تمكينهم من معرفة واستخدام الحاسوب وتطبيقاته المختلفة وكل البرمجيات المعلوماتية والإلكترونية المعينة لهم في علمهم التَّرجمي.

◆ حوسبة دروس التَّرجمة أو بعض المواد الأخرى المقرّرة في البرامج الدراسية لطلبة التَّرجمة، أي تدريسها بالحاسوب، وإتاحتها عبر الإنترنت باستخدام تطبيقات التّعليم الإلكتروني والتعلّم عن بعد.

◆ استكمال أشكال التَّرجمة المعتادة في تكوين المترجمين من تحريرية وفورية بالأشكال المستجدة التي برزت وتطوّرت بفضل البرامج والأجهزة المعلوماتية مثل التَّرجمة عن بعد، والتَّرجمة المحوسبة، والتَّرجمة السمعية البصرية التي انتشرت انتشاراً سريعاً في ظل تكاثر القنوات التلفزيونية الفضائية والأرضية بمختلف اللغات، وكذا توطين المواقع والبرامج المعلوماتية وإدارة الذاكرة وغيرها، وهي أشكال تدرج فيما يمكن تسميته بـ(تكنولوجيا التَّرجمة).

ولا يمكن الرّقي بالعملية التّعليمية للتَّرجمة المعتمدة على التّقنية الحديثة ووسائل الإتصال المتطورة، إلا إذا تزامن هذا التحديث والتطوير مع توفر تلك التّقنية، أي التسلح بالأدوات

ويعدّ مفهوم إدارة الجودة من أحدث المفاهيم الإداريّة التي تقوم على مجموعة من المبادئ والأفكار والمعايير التي يمكن لأيّ إدارة أن تتبنّاها في إطار فلسفة تنظيمية تساعد على تحقيق أفضل أداء ممكن وبلوغ أعلى درجات الجودة في الإنتاج والخدمات. ويندرج في إطار هذه الفلسفة دمج الأدوات والتّقنيات والتدريب، بمعنى الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة من بشرية ومادية ومعلوماتية وإدارة وإستراتيجية ومعايير ومواصفات وغير ذلك. وعلى المعنى نفسه تنطوي إدارة الجودة في التَّرجمة، فمثل هذه الأخيرة مثل العمليات الإنتاجية والخدمات الأخرى، تستند إلى معايير محدّدة لتحقيق أعلى مستويات الأداء والفعالية تماشياً مع متطلبات السوق اليوم، لتُضاف إلى مقاييس الدقة والاكتمال ويسر القراءة والملاءمة والاتساق التي تقاس بها جودة التَّرجمة نفسها، معيار أخرى جديدة من ممارسات وخبرات ومنهجيات عصريّة في إدارة وتسيير خدمات التَّرجمة تتقيّد بأعلى المعايير التي تفرضها المنافسة الحادة، ليس لضمان جودتها فحسب، وإنما لضمان فعاليتها أيضاً. والمقصود بفعالية التَّرجمة في هذا السياق هو توفيرها وقت الحاجة إليها من خلال الالتزام بالمواعيد وتسليمها بأسرع الطرائق الممكنة كنتيجة للتزود بالأدوات والوسائل التّقنية الضرورية والمعينة في ذلك.

وبإمكان مترجم اليوم ضمان أعلى مستويات الجودة برصدها وتقييمها وإدارتها من خلال تبني إستراتيجيات تنظيمية في مختلف مراحل التَّرجمة: أي قبلها وأثناءها وبعدها. فقبل التَّرجمة، بإمكانه ضمان الجودة من خلال إدارة التَّرجمة والتخطيط لتدفق الأعمال المطلوب منه ترجمتها بغية التمكن من الإلتزام بالمواعيد النهائيّة، كأن يصنّفها مثلاً في فئات (لم تترجم بعد) أو (العمل جارٍ على ترجمتها) أو (مغلقة) أو (تجاوزت الموعد النهائي). وأثناء التَّرجمة، بإمكانه ضمان الجودة من خلال توظيف كل الأدوات المعلوماتية والإلكترونية المعينة في التَّرجمة على غرار ذاكرات التَّرجمة وقواعد البيانات المصطلحية. وأمّا بعد التَّرجمة، فمن خلال فرض الرّقابة على جودة التَّرجمات بمراجعتها وتصحيحها وتنقيحها مع الإستهانة بالأدوات والتطبيقات المتاحة له لذلك.

ولعلّ أهمّ وأنجع استثمار يكفل للمترجم إدارة الجودة في عمله هو القيام بالخيارات الطويلة الأمد الأكثر فعالية والأجدى بالاستثمار في تنمية مهاراته وقدراته، وإيلاء أولوية عليا للممارسة والتّمرن على التَّرجمة في خضمّ البيئة التَّرجموية الجديدة بأدواتها الجديدة وبمتطلباتها الجديدة أيضاً بغية تليبيتها بمرونة وفعالية أكبر، وتحقيق أهدافه الأساسية المتمثلة في الجودة والإنتاجية والتقيّد بالمواعيد، أي أن يترجم أكثر وأسرع وأجود.

تلكم هي الكفاءات والمهارات الجديدة الواجب على مترجم اليوم اكتسابها لإنجاز ترجماته في خضمّ التّغيرات والتطوّرات التي أسفرت عنها ثورة المعلومات والاتصالات. وهي مهاراً تستدعي تحضيراً خاصاً لطالب التَّرجمة من خلال تكوين يجعل من التحوّلات التكنولوجية الحالية والمعطيات الجديدة في البيئة التَّرجموية مكوّنه الأساس.

المحور الرابع: تدريس التَّرجمة والحاسوب: التداعيات التّعليمية والماديّة

إذا كان تعلّم التَّرجمة يعني تعلّم مهنة، وإذا كانت مهنة المترجم قد تغيّرت لا محالة في عصر يتوجّه أكثر فأكثر نحو الأتمتة، فمن الطبيعي أن يتغيّر تدريس التَّرجمة أيضاً ويتطوّر ليتماشى مع المعطيات الجديدة في البيئة التَّرجموية. فليس التّقدم

مستقلاً ومسؤولاً أمامها، وهذا من خلال:

◆ مرافقة الطالب في مرحلة البحث الوثائقي المحوسب، وتوجيهه نحو موارد المعلومة الأكثر حصةً لتمكينه من التوفيق بين كم المعلومات المتوفرة في الموضوع المراد ترجمته ونوعيتها، بتلقيه منهجية الإدارة الكمية والنوعية للمعلومات وتدريبه عليها؛

◆ مرافقة الطالب في مرحلة البحث المصطلحي المحوسب، وتوجيهه نحو الخيارات المصطلحية الأنسب من خلال البحث عن المصطلحات في سياقها المقامي مع الاستعانة بالقواميس والمعاجم المحوسبة وقواعد البيانات المصطلحية المتوفرة؛

◆ تعليم الطالب كيفية إعداد وإدارة قاعدة البيانات المصطلحية وذاكرة الترجمة الخاصتين به من خلال حفظ نتائج أبحاثه المصطلحية في جذاذات مصطلحية متعددة اللغات وحوسبتها لاسترجاعها ألياً عند الحاجة؛

◆ تعريف الطالب بالآليات والأدوات المعلوماتية والإلكترونية المتاحة له، وتلقيه كيفية استخدامها والإفادة منها بغية التوفيق بين سرعة الترجمة وفعاليتها وجودتها؛

◆ تعريف الطالب بقدرات هذه الأدوات في إعانتته، وتحسينه بمخاطرها وحدودها في حال سوء استعمالها، وهذا من خلال خلق روح النقد عنده وجعله ينظر إليها نظرة متفحص متحصص ناقِد لها وللمعلومات التي تقدمها.

خلاصة البحث والتوصيات

ما من شك في أن الترجمة عملية ذهنية وفكرية ولغوية معقدة، تتطلب ممن يقوم بها الكثير من اليقظة والخبرة والإطلاع والحس اللغوي والذوق الفني والترجمي. ومثل هذه الأمور حصر على المترجم البشري، ولا يدركها عادة إلا بعد أن يشتغل رأسه شيئاً من جراء خوضه في عملية الترجمة المضنية والشاقة وهو منزو في زاوية من مكتبه ويكاد لا يرى من بين معاجمه وقواميسه الورقية الكثيرة والمختلفة. هذا هو التصور التقليدي للمترجم، ولكنه لم يعد قائماً في عصر المعلوماتية الذي تحولت فيه الترجمة من مجرد فن إلى صناعة تستخدم تكنولوجيا عالية وتخضع لاقتصاد قوي يدعى باقتصاد المعلومة. وهو التحول الذي خص الحاسوب بدور فعال في حقل الترجمة جاعلاً إياه صديقاً وانياً للمترجم وخادماً مطيعاً لا يمل ولا يكل في خدمة سيده في إطار ممارسات مستجدة في الميدان، وبإتاحته وسائل وأدوات معينة في الترجمة تتطلب من المترجم اكتساب مهارات وكفاءات جديدة لا غنى عنها اليوم.

وقد تناولنا في هذه الدراسة الاستقصائية لميدان الترجمة في عصر المعلوماتية مختلف ما أفضى إليه التفاعل بين الترجمة والحاسوب من ممارسات، وما يوفره الحاسوب للمترجم من تطبيقات كثيرة ومختلفة، ومن معلومات ضرورية في الترجمة، ومعينات في البحث والاتصال من جهة، وما يفرضه عليه من جهة أخرى من اكتساب كفاءات ومهارات جديدة تنطوي، فضلاً عن التأهيل اللغوي اللازم في الترجمة التقليدية، على تأهيل تقني يتعرف من خلاله إلى الأدوات المستجدة في البيئة الترجمة، ويتعامل معها ويتعلم كيفية استخدامها في عمله الترجمي، ويتدرب على استراتيجيات لمقاربتها بالشكل الذي يسمح له باستعمالها بفعالية وفق مراحل الترجمة، وعلى تأهيل تنظيمي يمكنه من إنتاج ترجماته بسرعة وفعاليتها من خلال إدارة المعلومة الضرورية في الترجمة، وإدارة الوقت، وكذا إدارة الجودة. وهي مهارات وكفاءات نافذة لا بد لطلاب الترجمة اليوم، بصفته مترجم الغد، أن يحضر ويعد لها أحسن إعداد من خلال

والتطبيقات التقنية المعينة في الترجمة، وهو ما يندرج ضمن التدايعات المادية.

5. التدايعات المادية

وهي عوامل تُعنى بها الجهات الممولة سواء أكانت من القطاع العمومي أو الخاص، كالوزارة الوصية على أقسام ومعاهد إعداد المترجمين، أو إدارة هذه الأقسام والمعاهد نفسها، أو أي منظمات وهيئات أخرى مانحة. وتتمثل مهامها الأساسية في تقديم الموارد المالية اللازمة لتوفير التجهيزات والمعدات والبرمجيات الحديثة الضرورية لتجسيد مخطط هيئة التدريس.

وبما أن عصر الترجمة بالورق والقلم قد ولى أويكاد، فاستقام السواد الأعظم من المترجمين على حوسبة عملهم، فإن بيئة تدريس الترجمة اليوم لا بد أن تتجاوز حدود قاعات الدروس العادية التي اعتدنا عليها في أغلب جامعاتنا، وقاعات الاجتماعات التي يتدرب فيها الطلبة على الترجمة التتبعية أثناء المؤتمرات الصحفية أو اللقاءات بين الوفود، وحتى الحجرات الخاصة بالترجمة الفورية، لتكون مختبراً للترجمة وللمعلوماتية في الآن نفسه، أو بالأحرى محطة ترجمية مجهزة بمختلف أحدث وأنجع الأدوات والتقنيات المعينة في الترجمة من حاسوب موصول بالإنترنت ومجهز بذاكرة تُدمج فيها مختلف المعاجم والقواميس والمدققات الإملائية وغيرها من الآليات التي سبق أن تطرقنا إليها ولا مجال للعودة إليها هنا، فيتمكّن الطالب بذلك من تحسين مهاراته التقنية والترجمية على حد سواء من خلال تدريبه على استخدام الحاسوب ومختلف تقنياته من جهة، واستغلالها في عملية الترجمة من جهة أخرى.

ولأن الترجمة السمعية البصرية أصبحت إحدى أهم مواد تكنولوجيا الترجمة التي تفرض نفسها في المناهج الدراسية الواجب تلقيها لطلبة الترجمة اليوم، فإنه بات من الضروري، فضلاً عن البرامج الحاسوبية الخاصة بالترجمة السمعية البصرية، تجهيز المختبرات بالمعدات اللازمة للتدريب على ترجمة البرامج التلفزيونية والأشرطة الوثائقية والسينمائية سواء في العنونة التحتية أو الدبلجة، من أجهزة عرض وتسجيل الأشرطة والأقراص ومعدات الارتباط بالفصائيات وغيرها.

مما لا شك فيه هو أن نجاح العوامل والإجراءات السابقة الذكر مجتمعة يبقى مرهوناً بتأهيل الأستاذ المكون نفسه، أي بمدى معرفته للأدوات التقنية المعينة في الترجمة وتمكنه من استخدامها بفعالية، وبمستوى معرفته وخبرته في أشكال الترجمة المستجدة، لأن فاقده الشيء لا يعطيه، ولهذا كانت الأولوية تكوين المكون وتأهيله تقنياً وتحسين مهاراته وتجديد معارفه ليتمكن من الارتقاء بأدائه المهني وتدريب مواد تكنولوجيا الترجمة التي أصبحت في عصرنا هذا من الضروريات لا الكماليات. وليس أستاذ الترجمة اليوم مطالباً بتلقي الطالب معرفته وعلمه في حقل الترجمة فحسب، وإنما هو مطالب بتلقيه طريقة للعمل، أي العمل الواجب القيام به لإنجاز الترجمة، لأن هذا الأخير أصبح يرتبط بالمتطلبات الجديدة لسوق الترجمة، من العمل تحت ضغط عامل الزمن مع التقيد بأعلى معايير الجودة، وما يستدعيه ذلك من طرق تنظيمية جديدة يحتاج التكيف معها إلى مرونة كبيرة في السلوك. كما يرتبط بالأدوات المعلوماتية والموارد الإلكترونية المعينة في الترجمة، وبإمكانات هذه الأدوات وحدودها. وبأخذ هذه العوامل الثلاثة في الحسبان، فقد توسعت مهام أستاذ الترجمة وأصبحت تشمل تدريس كيفية استخدام الأدوات الجديدة وسبل الاستفادة منها في الترجمة، مع تأطير الطالب وتوجيهه بتوجيهها بيداغوجياً ليصبح

الإلكتروني لجامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية
(http://faculty.ksu.edu.sa)، تصفحناه في 15 سبتمبر 2015.

2. العميد، عبد الله، (2006)، اقتراحات في سبيل إعداد أفضل لطلبة الترجمة، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة «تكوين مترجمي الغد»، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، 8-10 نوفمبر 2006. (على الموقع الإلكتروني: http://www.startimes.com/f.aspx?t=4633744)

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. ARROUART, Catherine, (2003), (*Les mémoires de traduction et la formation universitaire : quelques pistes de réflexion*), Meta, vol. 48, n° 3, 2003, Montréal, Les Presses de l'Université de Montréal, 476-479.
2. AUBIN, Marie-Christine, (1995), (*Splendeurs et misères de la traductique*), Cahiers Franco-Canadiens De l'Ouest, vol. 7, n° 2, 1995, Montréal, Presses Universitaires de Saint-Boniface (PUSB), 211-226.
3. DE BESSE, Bruno, (1992), (*Des fichiers terminologiques aux bases de connaissances*, in *L'environnement traductionnel*, Sillery Québec, Presses de l'Université du Québec, 283-300.
4. DURIEUX, Christine, (2010), (*Apprendre à traduire : Connaissances et compétences*). Cahiers de traduction, n°5, Alger, Université d'Alger, Département de traduction et d'interprétariat, 89-101.
5. GUIDERE, Mathieu, (2010), (*Introduction à la traductologie : Penser la traduction : hier, aujourd'hui, demain*, 2ème éd, France, De Boek, Coll. (Traducto).
6. HERBULOT, Florence, (2004), « *La Théorie interprétative ou Théorie du sens : point de vue d'une praticienne* », Meta, vol. 49, n° 2, 2004, 307-315.
7. IDIR, Nacéra (2014), (*Traduire à l'ère des NTICs : de la traduction à la traductique*), Revue des pratiques langagières, Tizi-Ouzou, Université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou, Laboratoire des Pratiques Langagières en Algérie, N° 22, pp.09-26.
8. L'Homme, Marie-Claude (2008), (*Initiation à la traductique*, 2ème édition, Préface de Claude Bédard, Montréal (Québec), Linguattech.
9. MESRI, George, (2007), (*La traduction humaine face à l'ordinateur dans les problèmes dus à l'homonymie et à la polysémie*), Synergies Monde arabe, n°4, 2007, 35-50.
10. SCARPA, Federica (2010), (*La traduction spécialisée: Une approche professionnelle à l'enseignement de la traduction*, traduit et adapté par Marco A. Fiola, Ottawa, Les Presses de l'Université d'Ottawa.
11. VOLANSCHI, Alexandra, (2007), (*Outils informatiques et ressources électroniques pour les traducteurs*), La TILV (Tribune Internationale des Langues Vivantes), n°43, novembre 2007, 24-39.

تكوين يجاري ويواكب آخر التحوّلات التكنولوجية وأحدث المعطيات في البيئة الترجمة، ويجعل منها مكوّن الأساس موضوعاً وأداة. ولن تحصل المواكبة والمجاراة إلا باستغلال الحوسبة بكل أبعادها في تدريس الترجمة وتكنولوجياها في بيئة شبيهة بمحطة ترجمة حوسبة تحتوي على أحدث الأدوات والموارد المعلوماتية، المدمجة منها وغير المدمجة، التي يستعان بها بحثاً عن المعلومات أو تدبيراً للوثائق أو إنجازاً للترجمة.

إنّ الجدير بالذكر في الختام هو أنّ هذه الأدوات المعلوماتية، وإن كان المترجم في أيامنا هذه يلجأ إليها مهما بلغت خبرته واحترافيته مبلغهما، وإن كانت فوائدها لا تنكر في تخفيض النفقات وترشيد حجم العمل وضمان الفعالية وتحسين النوعية، فإنّها لا تعدّ إلا امتداداً لقدرات المترجم، كيف لا وهي لا تجعل منه مترجماً كفوّاً إن كان غير ذلك، ولا تنوب عنه في عمله. إنّ للمترجم البشري من القدرات الذهنية والفكرية والمعارف الآنية والمقامية ما يجعل منه سيّد الموقف أثناء الترجمة ترجع له دائماً وأبداً صلاحية اتخاذ القرارات النهائية في القيام بالخيارات الترجمة الأكثر حصافةً وتأدية للمعنى المراد. وعليه فقد يكون من المهمّ بمكان أن توجه الأبحاث في حقل الترجمة نحو دراسات أكثر وأعرق لتطبيقات الحاسوب ومخرجاته في ميدان الترجمة وصفاً وتحليلاً ونقداً ومقارنة بأداء المترجم البشري، وجعلها مادة من مواد برامج تدريس المترجمين قصد تعريفهم بكفاءات الحاسوب معيّناً في الترجمة، وتوعيتهم بحدوده مترجماً.

الهوامش

1. سنعود لاحقاً في هذا البحث إلى مصطلح Traductique بالتعريف والترجمة.
2. تعرّف اللسانيات الحاسوبية على أنّها علم يبحث في اللغة البشرية كأداة طيّعة لمعالجتها بالآلة.
3. اخترع جهاز الحاسوب - كما تذكر المصادر - في أواخر النصف الأوّل من القرن العشرين، وتحديدًا سنة 1948، وأصبح منذ ذلك التاريخ متاحاً للإفادة منه في جميع مجالات الحياة، ومختلف العلوم والمعارف.
4. (الأتمتة) هو المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي (Automation)، وهو مصطلح مستحدث يعني جعل المعامل أكثر اعتماداً على الآلة بهدف زيادة الإنتاجية كماً ونوعاً. ونقصد بها هنا تسخير المترجم الحاسوب في مختلف مراحل عمله متفاعلاً معه دون الاعتماد عليه كليّة.
5. تتداول في الاستعمال تسميات أخرى مثل (الترجمة المعلوماتية) من الترجمة + المعلوماتية، وكذا (الترجمانية) نحتاً من (الترجمة) (والمعلوماتية)، فالمصطلحات العربية في هذا المجال ما تزال متذبذبة وغير مستقرة.
6. كل المقابلات العربية الواردة هنا هي ترجمتنا المقترحة للمصطلحات الإنجليزية، وذلك لغياب قواميس متخصصة ثنائية اللغة في الميدان.
7. يعرف (التّوطين) (بالإنجليزية Domesticating) على أنّه تكييف منتج ما وأقلمته مع منطقة معيّنة، ويشمل ذلك الترجمة إلى لغة هذه المنطقة، والتّكيف مع المعايير الخاصّة بها، وكذا مع ثقافتها والحاجات الخاصّة بالسوق المستهدفة فيها.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

1. حمدون، قريب الله هجو، (د.ت)، (الترجمة وتقنية المعلومات)، في الموقع